

226876 - هل أول البخاري صفة الوجه بأنه الملك والضحك بأنه الرحمة ؟

السؤال

هل أول الإمام البخاري بعض صفات الله تعالى، كالضحك ، قيل : إنه أوله بالرحمة، والوجه أوله بالملك؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

بالنسبة لصفة الضحك :

فلا يعرف نص ثابت للبخاري يؤول فيه هذه الصفة بأنها الرحمة .

لكن نسب هذا التأويل إلى صحيح البخاري :

1- الخطابي في " أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري " (3 / 1921) فقال :

" قال أبو عبد الله : معنى الضحك الرحمة " انتهى .

2- نسبه أيضا البيهقي في " الأسماء والصفات " (2 / 72) فقال :

" فقد روى الفريري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه قال: معنى الضحك فيه الرحمة " انتهى .

والبيهقي لعله أخذ من الخطابي لأنه ينقل عنه عادة .

إلا أن هذه النسبة مشكوك فيها ، فهذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى رغم سعة اطلاعه على نسخ صحيح البخاري ينفي

وجود هذا النص في النسخ التي اطلع عليها .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

" قال - أي الخطابي - وقال أبو عبد الله : معنى الضحك هنا الرحمة قلت - أي ابن حجر - : ولم أر ذلك في النسخ التي

وقعت لنا من البخاري " انتهى من " فتح الباري " (8 / 632) .

فالحاصل ؛ هو أنه لا نستطيع الجزم بنسبة هذا التأويل للإمام البخاري رحمه الله تعالى ، لأن نسخ صحيح البخاري التي

وصلت إلينا والموثوق بها خالية من هذا التفسير ، والله أعلم .

ثانيا :

صفة الوجه :

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى :

" (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) القصص (88) : إِلَّا مَلَكُهُ ، وَيُقَالُ : إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ " انتهى من " فتح الباري " (8 / 505) .

ويلاحظ ما يلي :

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أن في رواية النسفي لصحيح البخاري ، لفظة (إِلَّا مَلَكُهُ) منسوبة إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى ؛ قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

" قوله إلا وجهه إلا ملكه في رواية النسفي ، وقال معمر : فذكره ، ومعمر هذا : هو أبو عبيدة ، ابن المثنى وهذا كلامه في كتابه مجاز القرآن ، لكن بلفظ : إلا هو " انتهى . " فتح الباري " (8 / 505) .

وعلى هذا يحتمل أن يكون البخاري ذكر هذا التفسير كاختيار له ، ويحتمل أنه ذكره كتفسير من التفاسير من غير أن يكون قد اختاره ، وقدمه على غيره من الأقوال الواردة في تفسير الآية .

ثم إن التفسير (إِلَّا مَلَكُهُ) يستحيل أن يكون المقصود بملك الله أي : مخلوقات الله ، لأنه معلوم بطلان هذا المعنى لكل مسلم ؛ فالله تعالى قد نص أن مخلوقاته ستهلك .

فببقي أن يقال أن المقصود بالملك إذا صفة الملك لله تعالى ، إلا أنه يبقى هنا إشكال وهو : لماذا خصّ صفة الملك من بين باقي صفات الله تعالى ؟

وأقرب ما يمكن الجواب به أن يقال : إن شطرا كبيرا من سورة القصص : هو ذكر لقصة شخصين تجبرا وكفرا بسبب ملكهما ، وهما فرعون وقارون .

قال الله تعالى في بداية قصة فرعون :

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) القصص (4) .

وقال الله تعالى في بداية قصة قارون :

(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) القصص (76) .

وذكر الله تعالى بين هاتين القصتين :

(وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِشَتَهَا فِتْلِكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) القصص (58) .

فناسب أن يقال : إن كل مالك ، وما يملك : سيهلك ، وستزول صفة الملك عنه ، ولا يبقى إلا الله تعالى ، فهو المالك على الحقيقة ؛ ولهذا يقول الله تعالى :

(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) غافر (16) .

فيكون هذا التفسير : لا يراد به نفي الوجه ، وإنما هو تفسير للقرآن بالقرآن ، وهو تفسير للفظ ببعض ما يتعلق به من الصفات

والمعاني ، مما يناسب سياق السورة ، لأن بقاء الوجه يلزم منه بقاء الله تعالى وصفاته ، ومنها صفة الملك .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء ، أو بعض أنواعه ؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى ، بل قد يكونان متلازمين ... " انتهى . " مجموع الفتاوى " (6 / 390) .

والحاصل ؛ أنه مادام هنا اشكال وإبهام قائم هل هذا التفسير للبخاري أم لمعمر ؛ ولماذا اختار لفظة (إِلَّا مُلْكُهُ) ؟
فترجع لإزالة هذا الإشكال إلى عادة البخاري ومذهبه مع نصوص الصفات ، وننظر إلى تصرف البخاري مع هذه الآية في مواضع أخرى ؛ لأن كلام العالم المجمل والمشكل يفسر على وفق عادة هذا العالم ومذهبه .
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا ، وتعرف ما عادته [وما] يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به ، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر ، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه ، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده .

وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه ، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه ، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ بجعل كلامه متناقضا ، وترك حمله على ما يناسب سائر كلامه ، كان ذلك تحريفا لكلامه عن موضعه ، وتبيلا لمقاصده وكذبا عليه " انتهى من " الجواب الصحيح " (4 / 44) .
وقال ابن القيم رحمه الله تعالى :

" والكلمة الواحدة يقولها اثنان ، يريد بها أحدهما : أعظم الباطل ، ويريد بها الآخر : محض الحق . والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه ، وما يدعو إليه وينظر عليه " انتهى من " مدارج السالكين " (5 / 3954) .
والبخاري معروف بأنه يثبت صفات الله تعالى ، ومنها صفة الوجه ، فإنه في كتاب التوحيد من صحيحه أجرى هذه الآية على ظاهرها ولم يؤولها .

قال رحمه الله تعالى :

" بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) القصص (88) .

7406 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ عَمْرٍو ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) [الأنعام: 65] ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، فَقَالَ : (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) [الأنعام: 65] ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ، قَالَ : (أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْعًا) [الأنعام: 65] ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا أَيْسَرُ) " انتهى من " فتح الباري " (13 / 388) .

قال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله تعالى :

" وأما قوله: " إلا ملكه " فهذا تأويل بعيد ، وهو مخالف لصنعه هنا ، حيث ذكر الآية ، ثم أتبعها بحديث جابر ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : (أعوذ بوجهك) . فهذا ظاهر جداً في أنه أراد إثبات الوجه صفة لله تعالى " انتهى من " شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري " (1 / 276) .

ثالثا :

من الأخطاء الشهيرة التي يقع فيها الناس كثيرا ، المثبت منهم والنافي : أنه إذا اعتقد إثبات صفة ، ظن أن كل نص ورد فيه " لفظ " هذه الصفة ، يلزم تفسيره بمعنى هذه الصفة ، والاستدلال به على إثباتها .

وعكس ذلك النافي : إذا رأى في قول قائل من أهل العلم ، تفسير نص ، بما لا يدل على إثبات الصفة بهذا النص ؛ ظن منه أن هناك تلازما بين ذلك ، وبين نفي الصفة ، واستدل بذلك التفسير على أن القائل المعين من السلف : ينفي هذه الصفة المعينة ، أو ربما انتقل من ذلك إلى دعواه : أن يتأول باب الصفات بعامة .

وكلا الأمرين خطأ واضح في الاستدلال ؛ فإنه لا يلزم من بطلان الدليل ، بطلان المدلول ، ولا يلزم من تأويل النص المعين ، تأويل الباب كله ، بل ولا نفي الصفة المعينة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وَأَمَّا قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ " قَرِيبًا لَأَزِمًا فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ ؛ وَلَا يَخْتَصُّ بِهِ شَيْءٌ : فَهَذَا فِيهِ لِلنَّاسِ قَوْلَانِ . فَمَنْ يَقُولُ هُوَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَقُولُ بِهَذَا .

وَمَنْ لَا يَقُولُ بِهَذَا : لَهُمْ أَيْضًا فِيهِ قَوْلَانِ :

أَحَدُهُمَا إِثْبَاتُ هَذَا الْقُرْبِ ، وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَالصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ، يَقُولُونَ : هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ ، وَيُثْبِتُونَ هَذَا الْقُرْبَ . وَقَوْمٌ يُثْبِتُونَ هَذَا الْقُرْبَ ؛ دُونَ كَوْنِهِ عَلَى الْعَرْشِ .

وَإِذَا كَانَ قُرْبُ عِبَادِهِ مِنْهُ نَفْسُهُ ، وَقُرْبُهُ مِنْهُمْ : لَيْسَ مُمْتَنِعًا عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ مِنَ السَّلَفِ وَاتِّبَاعِهِمْ ، مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ : لَمْ يَجِبْ أَنْ يُتَأَوَّلَ كُلُّ نَصٍّ فِيهِ ذِكْرُ قُرْبِهِ ، مِنْ جِهَةِ امْتِنَاعِ الْقُرْبِ عَلَيْهِ .

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ جَوَازِ الْقُرْبِ عَلَيْهِ : أَنْ يَكُونَ كُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ فِيهِ قُرْبُهُ ، يُرَادُ بِهِ قُرْبُهُ بِنَفْسِهِ ؛ بَلْ يَبْقَى هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْجَائِزَةِ ، وَيُنْظَرُ فِي النَّصْرِ الْوَارِدِ ؛ فَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا ، حُمِلَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ دَلَّ عَلَى هَذَا حُمِلَ عَلَيْهِ .

وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ فِي لَفْظِ الْإِثْبَانِ وَالْمَجِيءِ ؛ وَإِنْ كَانَ فِي مَوْضِعٍ قَدْ دَلَّ عِنْدَهُمْ عَلَى أَنَّهُ هُوَ يَأْتِي ، فَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَأْتِي بَعْدَآيِهِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا .

فَتَدَبَّرْ هَذَا ؛ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَغْلُطُ النَّاسُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، إِذَا تَنَازَعَ النُّفَاةُ وَالْمُثَبِّتَةُ فِي صِفَةٍ وَدَلَّاهُ نَصٌّ عَلَيْهَا ؛ يُرِيدُ الْمُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ اللَّفْظَ - حَيْثُ وَرَدَ - دَالًّا عَلَى الصِّفَةِ ، وَظَاهِرًا فِيهَا ، ثُمَّ يَقُولُ النَّافِي : وَهُنَاكَ لَمْ تَدَلَّ عَلَى الصِّفَةِ ، فَلَا تَدَلُّ هُنَا . وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُ الْمُثَبِّتَةِ : دَلَّتْ هُنَا عَلَى الصِّفَةِ ، فَتَكُونُ دَالَّةً هُنَاكَ .

بَلْ لَمَّا رَأَوْا بَعْضَ النُّصُوصِ تَدَلُّ عَلَى الصِّفَةِ ، جَعَلُوا كُلَّ آيَةٍ فِيهَا مَا يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى - إِضَافَةً صِفَةٍ - مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ؛ وَهَذَا يَقَعُ فِيهِ طَوَائِفُ مِنَ الْمُثَبِّتَةِ وَالنُّفَاةِ ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْغَلَطِ .

فَإِنَّ الدَّلَالَهَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِ سِيَاقِهِ ، وَمَا يُحْفُ بِهِ مِنَ الْقَرَائِنِ اللَّفْظِيَّةِ وَالْحَالِيَّةِ . وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي أَمْرِ الْمَخْلُوقِينَ : يُرَادُ بِاللَّفَاطِ الصِّفَاتِ مِنْهُمْ ، فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ : غَيْرِ الصِّفَاتِ .

وَأَنَا أَذْكَرُ لِهَذَا مِثَالَيْنِ نَافِعَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : صِفَةُ الْوَجْهِ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ إِثْبَاتُ هَذِهِ الصِّفَةِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ الصِّفَاتِيَّةِ ، مِنَ الْكَلَابِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ

والكَرَامِيَّة ، وَكَانَ نَفِيهَا مَذْهَبَ الْجَهْمِيَّة ، مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَمَذْهَبَ بَعْضِ الصِّفَاتِيَّة مِنَ الْأَشْعَرِيَّة وَغَيْرِهِمْ =
صَارَ بَعْضُ النَّاسِ مِنَ الطَّاغُفَتَيْنِ : كُلَّمَا قَرَأَ آيَةً فِيهَا ذِكْرُ الْوَجْهِ ، جَعَلَهَا مِنْ مَوَارِدِ النَّزَاعِ ؛ فَالْمُثَبِّتُ يَجْعَلُهَا مِنَ الصِّفَاتِ الَّتِي
لَا تَتَأَوَّلُ بِالصَّرْفِ ، وَالنَّافِي يَرَى أَنَّهُ إِذَا قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ صِفَةً ، فَكَذَلِكَ غَيْرُهَا .

مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ، أَدْخَلَهَا فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ طَوَائِفُ مِنَ الْمُثَبِّتَةِ وَالنُّفَاةِ
حَتَّى عَدَّهَا " أَوْلَيْكَ " كَابْنِ حُزَيْمَةَ مِمَّا يُقَرَّرُ إِثْبَاتَ الصِّفَةِ وَجَعَلَ " النَّافِيَةَ " تَفْسِيرَهَا بِغَيْرِ الصِّفَةِ حُجَّةً لَهُمْ فِي مَوَارِدِ النَّزَاعِ .
وَلِهَذَا لَمَّا اجْتَمَعْنَا فِي الْمَجْلِسِ الْمَعْقُودِ ، وَكُنْتُ قَدْ قُلْتُ : أَمَهَلْتُ كُلَّ مَنْ خَالَفَنِي ثَلَاثَ سِنِينَ إِنْ جَاءَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ عَنِ السَّلْفِ
يُخَالِفُ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرْتَهُ ، كَانَتْ لَهُ الْحُجَّةُ ، وَفَعَلْتُ وَفَعَلْتُ . وَجَعَلَ الْمَعَارِضُونَ يُفْتَشُونَ الْكُتُبَ ، فَظَفَرُوا بِمَا ذَكَرَهُ الْبِيهَقِيُّ فِي
كِتَابِ " الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ " فِي قَوْلِهِ تَعَالَى **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالشَّافِعِيِّ :
أَنَّ الْمُرَادَ قِبْلَةَ اللَّهِ فَقَالَ أَحَدُ كِبْرَائِهِمْ - فِي الْمَجْلِسِ الثَّانِي - قَدْ أَحْضَرْتُ نَقْلًا عَنِ السَّلْفِ بِالتَّأْوِيلِ ؟
فَوَقَعَ فِي قَلْبِي مَا أَعَدُّ ، فَقُلْتُ : لَعَلَّكَ قَدْ ذَكَرْتَ مَا رَوَيْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ؟
قَالَ : نَعَمْ .

قُلْتُ : الْمُرَادُ بِهَا : قِبْلَةُ اللَّهِ !!

فَقَالَ : قَدْ تَأَوَّلَهَا مُجَاهِدٌ وَالشَّافِعِيُّ ، وَهُمَا مِنَ السَّلْفِ ...

قُلْتُ هَذِهِ الْآيَةُ : لَيْسَتْ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَصْلًا ، وَلَا تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ قَوْلٍ مَنْ يَقُولُ : لَا تُؤَوَّلُ آيَاتُ الصِّفَاتِ .
قَالَ : أَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْوَجْهِ ؟

فَلَمَّا قُلْتُ : الْمُرَادُ بِهَا قِبْلَةُ اللَّهِ ، قَالَ : أَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ ؟

قُلْتُ : لَا ؛ لَيْسَتْ مِنْ مَوَارِدِ النَّزَاعِ ، فَإِنِّي إِنَّمَا أُسَلِّمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَجْهِ - هُنَا - الْقِبْلَةُ ، فَإِنَّ " الْوَجْهَ " : هُوَ الْجِهَةُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ
، يُقَالُ : قَصَدْتُ هَذَا الْوَجْهَ ، وَسَافَرْتُ إِلَى هَذَا " الْوَجْهِ " ، أَيُّ : إِلَى هَذِهِ الْجِهَةِ ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ مَشْهُورٌ .
فَالْوَجْهُ : هُوَ الْجِهَةُ . وَهُوَ الْوَجْهَةُ .

كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : **وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا** ، أَيُّ مُتَوَلِّيَهَا ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى : **وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا كَقَوْلِهِ : فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ، كَلَّمَا
الْأَيْتَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى مُتَفَارِقَتَانِ ، وَكِلَاهُمَا فِي شَأْنِ الْقِبْلَةِ ، وَالْوَجْهَ ، وَالْوَجْهَةَ : هُوَ الَّذِي ذَكَرَ فِي الْآيَتَيْنِ : أَنَّا نُؤَلِّيهِ : نَسْتَقْبِلُهُ .
قُلْتُ : وَالسِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ قَالَ : **فَأَيْنَمَا تُولُوا وَأَبْنَ مِنَ الظُّرُوفِ** ، وَتُولُوا أَيُّ تَسْتَقْبِلُوا . فَالْمَعْنَى : أَيُّ مَوْضِعٍ اسْتَقْبَلْتُمُوهُ ،
فُهَذَا وَجْهُ اللَّهِ . فَقَدْ جَعَلَ وَجْهَ اللَّهِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ ، هَذَا بَعْدَ قَوْلِهِ : **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ** ، وَهِيَ الْجِهَاتُ كُلُّهَا ،
كَمَا فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى : **قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** .

فَأَخْبَرَ أَنَّ الْجِهَاتِ لَهُ ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِضَافَةَ : إِضَافَةٌ تَخْصِيصٍ وَتَشْرِيفٍ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : جِهَةُ اللَّهِ ، وَقِبْلَةُ اللَّهِ ...

وَالْغَرَضُ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ : " فَتَمَّ قِبْلَةُ اللَّهِ " : لَمْ يَكُنْ هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ الْمُتَنَازِعِ فِيهِ ؛ الَّذِي يُنْكَرُهُ مُنْكَرُوا تَأْوِيلِ آيَاتِ الصِّفَاتِ ؛ وَلَا هُوَ
مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَيْهِمُ الْمُثَبِّتَةُ ؛ فَإِنَّ هَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ فِي نَفْسِهِ ، وَالْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَيْهِ .

وَإِنْ كَانَتْ دَالَّةً عَلَى ثُبُوتِ صِفَةٍ ، فَذَلِكَ شَيْءٌ آخَرٌ .. انتهى، من "مجموع الفتاوى" (17-6/15) .

والله أعلم .